

انها الاحزان التي تعمى الحواس .. ولكن الشاعر في قرارة نفسه
كلف بالحياة مولع .. ولا أستطيع أن أتقبل بسهولة عزو أحد الكتاب
احساس الشاعر بالغربة الى ايمانه بعالم الموت (١) ! ولم لا يكون
احساسه بالغربة وليد شعوره بالتفرد والامتياز ، الذي يجعل اندماجه
بمن حوله صعبا عليه وعليهم أيضا . فهو غريب بينهم وهم غرباء ؟

انه ينكر التشاؤم فهل هو متفائل ؟ وكيف يتفاءل من يحق به الداء
والأعداء والغبن برحيل الأحبة ؟ كيف يتفاءل من يرى قومه يغطون في
سبات عميق والمظالم تتخطقهم من كل جانب ؟ كيف يتفاءل من يعيش
يقلب صريع غالى بحبه ، حتى رفعه الى منازل التقديس (٢) ، فاذا به وسط
قهقهة القدر الساخر ، يوسده الثرى ويودعه التراب فيصير حفنة من
تراب .. والوداعة والجمال والشباب المنغم والرقة ، التي يكاد يرف
الورد منها في الصخرة الجلمود ، والخطو الموقع كالنشيد والصوت الحالم
كرجع ناي بعيد .. أين أين ؟ كل هذا أيضا حفنة من تراب ؟ علام
التفاؤل . اذن ؟ وما جدوى الحياة نفسها ؟ في رأيه على الأقل ..

لقد عاش الشاعر فهو ابن الحياة والأم حبيب وان عنفت ، جميلة
وان شامت . ومات الشاعر في حياته أو مات بعضه في أبيه وحبيبتيه
فالموت غريمه .. وقد خلق شاعراً فامتلاً شعره بالحياة والموت ، واذا أنت
في حضرتة تتزاحم على سمعك أصوات مختلفة ، فينبأ الضحكات ترن
في جانب من الديوان ، اذا بالنحيب يعلو في جانب آخر .. هنا دمعة
وشهقة وزفرات ، وهناك روعة وخفقة وبسمات . ولا أحسب أحدا تجتمع
له العوامل التي اجتمعت للشابى ثم يفعل غير ما فعل .. ويلتقى بي
الأستاذ خليفة محمد التليسي هذه المرة فيقول :

(على أن الشابى ظل عميق الحب للحياة ، وليس تشاؤمه الا صورة
من صور النقمة على الأوضاع المريضة التي كان يعيش فيها مجتمع . وهو
ينطوى على الرغبة في الحياة الرفيعة الخالقة المبدعة . أكثر مما ينطوى على
كراهية الحياة) (٣)

(١) اقرأ ص ١٠٣ - ١٠٤ من كتاب « الشابى وجبران » للأستاذ خليفة محمد التليسي .

(٢) أنت من ريشة الاله ، فلا تلتقى بفن السما لجبل العبيد

أنت لم تخلقى ليقربك الناس ولكن لتعبدى من بعيد

الديوان - قصيدة « أيتها العالمة بين العواصف » ص ١٥٥ .

(٣) كتاب « الشابى وجبران » للأستاذ خليفة محمد التليسي ص ١٠٩ . ١١٠ .